١٠ ـ تاريخ العرب الأدبي

للأستاذ رينولد نيكلسون

ترجمة حسين محمد مبشي

الفصـــل الثاني

وخلف النعمان ولده المنذر وكان أميراً عاقلاً شجاعاً . ويستدل على سطوة اللخميين إذ ذاك من الحادثة التي حدثت عقب موت يزدجرد الأول ، ذلك أن المنـذر تدخّل في النزاع القائم حول انتخاب خليفته ، وأيد اختيار بهرام جور[1] الذي عارض توليته رجال الدين في فارس . وفي الحرب التي اندلع لهيبها بعـد قليل بين الفرس والروم برهن المنـذر على أنه تابع مخلص ، ولـكن الروم كبّدوه خسائر فادحـة عام ٤٢١ م . وفي أوائل القرن السادس الميلادي اعتلى العرش أمير ينسمى المنذر الثالث الذي دعاه العرب ابن ماء السماء[2] ، وطالت مدّة حكمه وازدهرت ، وإن كانت قد تلبدت سماؤها بغيوم حادثة يستحيل فهمها دون الرجوع إلى التاريخ العام لهذه الفترة ؛ ذلك أنه حوالي ٤٨٠ م امتـد نفوذ قبيلته كندة التي يظهر أن أمراءها كانوا خاضعين لتبابعـة اليمن خضوع اللخميين لملوك فارس ، وشمل نفوذها جزءاً كبيراً من وسـط بلاد العرب وشمالها . وكان اليد العاملة في بسط هذا النفوذ حجر (آكل المرار) أحد أجداد امرىء القيس ، ولـكن ماليث أن تفكك هذا عنـد ما مات حجر ، ولـكن عاد الشمل فالتم مرّة ثانية لمدة وجيزة حوالي سنة ٥٠٠ م على يد حفيده الحارث بن عمرو ، وصار منافساً خطيراً لامارق الحيرة وغسان ؛ على حين كانت تعاليم مزدك الاشـتراكية قد اتسع نطاق دعوتها وتغلغلت بين العامة في فارس حتى انتهى الأمر بأن اعتنقها الملك قباذ[3] نفسه . ومن المؤكد أنه قد حدث بين عامي ٥٠٥ ، ٥٢٩ م أن اجتاح الحارث بن عمرو الـكندي العراق وأقصى المنذر عن مملـكته . وليس من البعيد أن يكون سقوط الأخير — كما يؤكد كثير من المؤرخين — راجعاً إلى عدائه للتعليم المزدكية التي أثارت سخط مولاه . وعلى كل حال — وأيّاً كانت الأسباب — فان الحارث قد أقصى المنذر وقتاما ؛ وبالرغم من أنه قد عاد إلى عرشه بعد فترة قصيرة قبل تولية أنوشروان الذي قتل كثيرين من أتباع مزدك (٥٢٨ م) فان النسيان لم يسحب ذيوله على ما لحقه من إهانة وقسوة[1] ، وإن حياة امرىء القيس وقصائده لتحمل طابع الـكراهية الموروثة التي تأصلت جذورها بين لخم وكندة . ولقد أدّت أعمال المنذر ضد الروم إلى نشاط كبير ، فقد دخل سورية ووصل الى إنطاكية ، ورأى جستنيان نفسه مضطراً لأن يكل أمر الدفاع والذب عن هذه الأقاليم الى الحارث بن جبلة الغسّاني (الحارث الأعرج) الذي وجد فيـه المنذر قوّة تفوق قوّته . ومنذ ذلك الحين أخذ كلٌّ من ملوك الحيرة وغسان في الاغارة على أقليم الآخر وتخريبه ؛ وفي إحدى هـذه الغزوات أسر المنذرُ ابنَ الحارث ، وسرعان ما ضحّى به لأفروديت الآلهة العربية العزى[2] . ولما استرد الأقليم ثانية سنة ٥٥٤ م فوجئ في معمعان القتال وذبح في موقعة تدعى « يوم حليمة » . ومجمل القول أن اللخميين كانوا وثنيين ليس لهم حظ من الرقي والحضارة ، تلك التي يستحقها تماماً المنذر الثالث . وقد روى الأغاني أنه كان له نديمان من بني أسد هما خالد بن المضلّل وعمرو بن مسعود ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بحفر حفرتين وأن يجعلا في تابوتين ويدفنا فيهما ففعلوا ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما فندم على ذلك واغتم ؛ ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما فأمر ببناء الغريّين عليهما فبنيا وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عندهما يسمى أحدهما يوم نعيم يعطى فيه أول طالع عليه مائة من الابل سوداً ، والآخر يوم بؤس يعطى فيـه أول طالع عليه رأس ظربان أسود ، ثم يأمر به فيـذبح ويطلى بدمه

(١) شكى عظماء من أن بهرام جور لم يتأدب تأدب العجم ، وإنما أدبه أدب العرب وخلقه تخلقهم لنشأته بين أظهرهم ، واجتمعت كلمتهم وكلمة العامة على صرف الملك عن بهرام (الطبري ج ١ ص ٨٥٨ س ٧ — ٩)

(٢) وقيـل إن ابن ماء السماء كنية له عن أمه التي كانت تدعى مارية أو ماوية

(٣) للاطلاع على مزدك وتعاليمه يمكن القارئ مراجعة ما ترجمه نلدكه عن الطبري ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٤ ، ٤٥٥ — ٤٦٧ وما كتبه الأستاذ براون في كتابه Lit Hist of Persia ج ١ ص ١٦٨ — ١٧٢

(١) ذبح المنـذر أربعين أو خمسين فرداً من عائلة كندة المالـكة الذين وقعوا أسرى في يده ، ولقـد كان الحارث أحد من قتلهم المنذر بيده عام ٥٢٩ م ومنذ ذلك الحين أخذ شأن كندة في الضعف ، وأخذت ترتد بالتدريج إلى مواطنها الأولى في حضرموت

(٢) وفي مرة أخرى ضحى بأربعمائة راهبة مسيحية لهذه المعبودة

الغريان ، ويقال إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف عليه يوم بؤسه فقتله[1] ؛ وظل على هذا الحال حتى مرّ به رجل من طى يقال له حنظلة ، فلما رأى نفسه مقتولاً قال له : « أجلنى سنة أرجع فيها إلى أهلى ، ثم أصير إليك فأنفذ فى حكمك » فقال : « من يكفلك حتى تعود ؟ » فنظر فى وجوه جلسائه فعرف فيهم شريك[2] بن عمرو الذى قام وقال للملك : « أبيت اللعن يدى بيده ودمى بدمه إن لم يعد إلى أجله[3] » فلما كان العام القابل جلس فى مجلسه ينتظر حنظلة أن يأتيه فأبطأ عليه ، فأمر الملك بشريك ليقتله ، فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم فتأملوه فاذا هو حنظلة متكفنا متحنطا معه غادبته تنديه ، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما فأطلقهما وأبطل تلك السنة[4]

* * *

وقد خلفه على العرش ابنه عمرو الذى يعرفه شعراء العربية المعاصرون والمؤرخون المحدثون باسم عمرو بن هند ؛ وفى عهده أصبحت الحيرة مركزاً أدبياً زاهراً ، وقد وفد على بابه كثيرون من شعراء عصره ، وسترى فى الفصل التالى علاقاته مع طرفة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة . ولقد كان عمرو هذا رجلاً شرس الطباع مستبداً طاغية ضاق العرب به ذرعا كما نرى ذلك من قول الدهان العجلى[5] :

أبا القلبُ أن يهْوى السدير وأهله
وإن قيل عيشٌ بالسدير غريرُ
فما أنذروا الحىّ الذى نزلوا به وإنى لِمَنْ لم يأته لنذيرُ
به البقّ والحمّى وأسْد خفيّة وعمرو بن هند يعتدى ويجور

ولقى عمرو مصرعه على يد كبير التغالبة عمرو بن كلثوم ، ثأرا لكرامة أمه ليلى التى خدشت عنده

ونكتفى بالاشارة إلى اسمى قابوس والمنذر الرابع ابنى هند اللذين ولى كل منهما العرش فترة قصيرة ، ونكون بذلك قد وصلنا إلى آخر ملك لخمى للحيرة ألا وهو النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ويكنى بأبى قابوس وقد حكم من سنة ٥٨٥ إلى ٦٠٧ م ، كما نشأ فى أحضان أسرة مسيحية شريفة فى الحيرة قامت بتربيته وتعليمه ، وكان كبيرها زيد بن حماد أبا الشاعر عدى ابن زيد ، وعدى هذا ذو شخصية جذابة كما كانت وقائعه قوية الصلة بحوادث النعمان ؛ وكان كل من جدّه وأبيه ذا ثقافة ليست بالقليلة ، وشغلا مراكز سامية أيام المنذر الثالث وخلفائه ، وقد استطاع زيد بواسطة دهقان يدعى « فاروخ ماهان » من اجتذاب عطف كسرى أنوشروان[1] بأن صار كاتب ديوانه ، وذلك منصب لا يرقاه إلا أبناء الأشراف . وحينما اشتد ساعد عدى أرسله أبوه ليتلقى المعارف مع ابن الدهقان فأجاد الفارسية كتابة وقراءة ، كما أتقن العربية اتقاناً تاماً ، وقرض الشعر ، وتعلم ركوب الخيل ، ولعب الكرة ، كما أن جماله الشخصى وذكاءه وذلاقة لسانه وحضور بديهته كل أولئك حَبَّبهُ إلى أنوشروان فقرّبه إليه واتخذه كاتباً له ومترجماً فى ديوانه ؛ ولم يكن قد كتب بالعربية قط من قبل فى الديوان الملكى ، وحباه الملك عطفه ، وبعث به إلى القسطنطينية فى سفارة خاصة حيث استقبل أجل استقبال ؛ وعند أوبته أوحى القيصر[2] — جريا على سنة متبعة — إلى جميع الموظفين القائمين بحراسة الطريق بمدّ الخيل فى محطات البريد مما يلزمها حتى يرى المبعوث الفارس عظمة واتساع الامبراطورية البيزنطية

(يتبع) حسن حبشى

(١) راجع قصة هلاكه فى الأغانى ج ١٩ ص ٨٦ — ٨٧

(٢) وقد ذكر له الأغانى (ج ١٩ ص٨٧ س ١٨) شعراً مطلعه :
يا شريك بن عمرو ما من الموت محاله

(٣) الأغانى ج ١٩ ص ٨٦ طبعة بولاق

(٤) كانت هند أميرة كندية ، وهى ابنة الحارث بن عمرو الذى أسره المنذر فى إحدى غاراته ، وكانت نصرانية وأقامت ديراً فى الحيرة « راجع ترجمة ذلكه للطبرى ص ١٧٢ هامش رقم ١ »

(٥) الأغانى ج ٢١ ص ٩٤ س ١٦ — ١٨

(١) تولى زيد الحيرة نيابة عن الملك بعد موت قابوس ومهد الطريق للمنذر الرابع الذى أسرف فى الطغيان حتى كرهه الشعب ومقته « راجع ترجمة ذلكه للطبرى ص ٣٤٦ هامش رقم ١ »

(٢) يطلق العرب على الامبراطور البيزنطى لقب قيصر ، والملك الفارسى لقب كسرى

مرض البول السكرى

نصيحة من مريض (لله تعالى) إلى المرضى

مرضت بالبول السكرى وبالتجائى الى كل الطرق لم أستفد سوى إستفادة مؤقتة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقنى الله تعالى إلى بعض أنواع بذور للنباتات لم أجدها الا بمحل وكالة محمد طاهر الصاوى بوكالة أبو زيد بالحمزاوى بمصر تليفون ٥٢٥٢٠ ولم تكلفنى تمنها سوى مبلغ عشرة قروش صاغ . وباستعمالها مدة أربعة أسابيع كانت النتيجة مرضية جدًا ... فقد ظهر من نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد أن كان بنسبة ٥٥ فى الألف .

لذلك أخذت على نفسى عهدًا أن أنصح بها المرضى وأعتقد أن المحل المذكور لا يتأخر عن إرسالها لكل مريض خدمة للانسانية متى أرسل إليه قيمة الثمن المذكور

أحمد كشك ، م .